بطريركية الأقباط الأرثوذكس
أسرة خريجي الكلية الإكليريكية بالإسكندرية
مركز البابا كيرلس عمود الدين للدراسات اللاهوتية

باسم الثالوث القدوس

كورس اللاهوت الرعوي

اليوم الثالث - المحاضرة الأولى

الخادم والأصوام - قداسة البابا تواضروس الثاني

❖ مقدمة:

- في يوم ١٥ هاتور من هذا الشهر سوف نبدأ صوم الميلاد أول اصوام السنة الكنسية، وبعد فترة ندخل على الصوم الكبير وبعد فترة ندخل على صوم الرسل وبعد فترة ندخل على صوم السيدة العذراء، تعد هذه الأربعة أصوام الكبيرة في السنة الكنسية، لكن هناك أربعة أصوام أخرى صغيرة هي صوم الأربعاء والجمعة وصوم يونان والبرامون، فللكنيسة أربعة أصوام كبيرة وأربعة أصوام صغيرة.
- يتساءلون أولادنا ما فائدة هذه الأصوام الكثيرة في الكنيسة؟
- هل ذكرت هذه الأصوام في الكتاب المقدس؟
- ما أهمية هذه الأصوام؟

- دعونا نأكل ما نريده ونحبه، وهناك بعض الأطعمة الفطاري الآن أصبحت صيامي، ويقومون بوضع بعض الإضافات عليها لتكون صيامي.
- دعونا نتفق معاً ماذا تصنع فكرة الأصوام في الإنسان؟! ويعد هذا السؤال مهم جداً في الخدمة.
- جسم الإنسان به اجهزة تقوم بالعمليات الحيوية كالجهاز الهضمي، والجهاز التنفسي، ... إلي أخره، ولكن أيضاً في الإنسان يوجد الجهاز الروحي وهو مكون من أربعة أعضاء (عين- أذن- فم- قلب) فتقول أن هذه الأعضاء من أعضاء أجهزة الجسم العضوية، إنها بالطبع كذلك وهي أجهزة لا نستطيع الاستغناء عنها، هذه الأجهزة تساعد الإنسان من ناحية تُكَون الكيان الروحي أي الإنسان الروحي، الكنيسة المسترشدة بالروح القدس تضع هذه الأصوام الأربعة بالإضافة إلى الخلفية الكتابية، فتجعل هذه الأصوام لإصلاح و تجديد أعضاء الجهاز الروحي في الإنسان، فهذه الأصوام الأربعة الكبيرة هدفها الرئيسي إصلاح وتجديد وصيانة أعضاء الجهاز الروحي (الأذن- العين- الفم- القلب) وهم بهذا الترتيب وسيتم شرحهم في التفاصيل القادمة.

أولاً: صوم الميلاد:

- **الهدف منه إصلاح الأذن**، الأذن الداخلية للإنسان، وإصلاح الأذن أي مراجعة فضيلة الطاعة في حياتك، السمع الداخلي (السمع الجواني) لذلك في شهر هاتور في الأربع آحاد، تجد في الأحد الأول في القداس "من له أذنان للسمع فليسمع"، في الأحد الثاني مَثل الزارع "من له أُذنان للسمع فليسمع"، وفي الأحد الثالث "من له اذنان للسمع فليسمع" نكون قد دخلنا في الصوم، وفي الأحد الرابع ترى حكمة الكنيسة عندما يقولون قصة الشاب الغني وكان لديه أُذن ممتازة لكنه مضى حزيناً فلم تسمع أُذناه، كأن صوم الميلاد بطقوسه بكل ما فيه لكي تدرك هل أُذنك سليمة أم لا؟! موجودة لديك أم لا؟!، يجب أن تعرف ايها الاب الحبيب أن الأُذن ليست كالعين فالأذن مفتوحة أربع وعشرون ساعة أما العين فهي تستريح أثناء الليل ونغمضها، العين لا تعمل إلا في اتجاه الضوء (عندما أجلس لا أرى من خلفي) أما الأُذن فهي تعمل في جميع الاتجاهات (شمال ويمين، فوق وتحت، الأمام والخلف) وفي الليل أيضاً، الأُذن لا تغلق فتنام وأذنك تسمع، فأحياناً يقول الشخص أُذني حساسة جداً تسمع دبة النملة افتراضاً، تسمع كلمة الله، تسمع مشورة أب اعترافك، تسمع الوصية في الإنجيل، ولا تقول لقد سمعنا كثيراً، إذن صوم الميلاد هو صوم من أجل الأُذن، فتأتي كنيستنا العظيمة بعد شهر هاتور وبعده شهر كيهك بطوله وبأحاده الأربعة يتحدث في الاساس وفي التسبيح عن واحدة كانت أُذنها رائعة استمعت الكلمة، وهي أمنا العذراء، الإبداع في القراءات الأحد الأول في هاتور "من له أُذنان للسمع، والثاني، والثالث، أما الأحد الرابع ندخل في الصوم في أول أسبوعين يأتي مَثل الشاب الغني الذي مضى حزيناً بالرغم من أن سؤاله كان جميلاً، وبعد ذلك هذا لم يصغي للكلام "يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ: اِذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلًا الصَّلِيبَ" (مر١٠: ٢١)، "فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِينًا" (مر١٠: ٢٢)، فقد وضع السيد المسيح يده على جرح هذا الشاب، الكنيسة تقول لنا مِثال إيجابي لأمنا العذراء مريم "هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ" (لو١: ٣٨)، ونستمر طوال شهر كامل نتحدث عن العذراء مريم نسبح للعذراء ولكن الهدف هو تصليح أُذنك الداخلية فهذا عضو من أربعة يشكلون الكيان الروحي لديك، تسمع و تطيع وتكون لديك فضيلة الطاعة، طاعة الوصية، طاعة المشورة الروحية، الطاعة بصفة عامة، الطاعة التي تعطي ثمار كثيرة في حياة الإنسان، الصوم كله من أجل الطاعة.
- من الجميل أن الكنيسة عندما ينتهي صوم الميلاد بعده صوم صغير اسمه صوم يونان على لم يصغ لكلام الله، وربنا قرصه قرصة لكي يصغي وذهب ينفذ وهو على مضطر لكنها تنبهنا هل أُذنك سليمة؟ البداية بالأُذن.

ثانياً: الصوم الكبير.

- الصوم الثاني، الصوم الكبير على امتداد اسابيعه بطقسه الجميل بكل مفرداته والهدف الذي به، **فالهدف منه هو العين** في الأحد الأول نقرأ (مت٦) "سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّرًا" (مت٦: ٢٢)، عينك بسيطة بمعنى نقية، جسدك كله يكون نيراً بمعنى من الداخل والخارج يكون نيراً، إن كانت شريرة فجسدك كله يكون مظلماً، الصوم الكبير يا أخوتي مع الخطة والقراءة الروحية التي فيه، هدفه إصلاح العين.

- من ناحية العلوم الإنسانية يقول إن الإنسان يعرف، معرفته الداخلية تأتي عن طريق عينه، إذا كنت تعرف مثلاً ١٠٠ معلومة منهم ٧٥ معلومة دخلوا عن طريق عينك، فالعين هي الأساس فليس معنى العين أن ترى بل العين تعني عين الرحمة، العين التي تستطيع أن ترى لا تدين أخر لا تقسو على أخر، ففي المَثل الشعبي (فُلان بصيتله من فوق لتحت، أنا غسلته، أنا عملت فيه بنظرة العين).
- هل تمتلك عين رحمة؟ الكنيسة تقول في الصوم الكبير (طوبى للرحماء على المساكين خلي الرحمة تحل عليهم) هل هناك هكذا حقاً، ففي بعض الأحيان يوجد أب كاهن ناشف، وأحياناً يضع لها مبررات فهناك من يخدم بروح الرحمة، خاصتاً في التعامل مع المحتاجين والضعفاء وفي مجالات الخدمة الواسعة، لذلك ليس عبثاً أن نكرر في صلواتنا يارب ارحم، وارحمني يا الله، وارحمنا ثم ارحمنا وليس لنا أمام الله سوى الرحمة، هل ترى عينك بطريقة صحيحة؟ أم عينك نقادة، أم عينك شهوانية أم عينك حادة ام عينك ديانة للأخرين، هل عينك بها بساطة، نقاوة، بها نظرة تخدم الأخر، فالسيد المسيح عندما أتوا له بالمرأة التي ضبطت في ذات الفعل ووضعوها في المنتصف، هناك ثلاثة أفراد في هذا المشهد، السيد المسيح وهذه المرأة والأشخاص الواقفون مستعدون لرجمها بالحجارة، وجاء المسيح في منتهى الهدوء كان يخط على الأرض بعض الكلمات، لكن هؤلاء الأشخاص قد وجدوا الرب يسوع يكتب على الأرض خطايا لهم، وهنا وضع السيد المسيح مبدأ (من يظن أنه بلا خطية فليرميها أولاً بحجر) فكل واحد منهم من كان في يده حجر وعينه متشددة وقاسية لكي يرجم هذه السيدة بدأ يضع الحجر بجانبه ويلتفت ويغادر المكان بدون أن يلاحظ أحد، أما المرأة فكانت في انتظار أن تُرجم، وأصبح المشهد به اثنان المسيح و المرأة، فقال لها "أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ فَقَالَتْ: «لاَ أَحَدَ، يَا سَيِّدُ!». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ» :وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ .اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا" (يو٨: ١٠- ١١)، كم تكون هذه العين الرحيمة، إياك أن تكون كاهناً وعينك شديدة أو كاهناً وقاسي لفظاً أو بالنظرة أو بالتعنيف، فالكاهن يرتدي اللون الأسود لكي يمسح فيه الخطايا، فأي الألوان حينما توضع على اللون الأسود لا تظهر، إذن الصوم الثاني هو الصوم المخصص لإصلاح العضو الثاني من الكيان الروحي وهو العين، أن تكون لك عين الرحمة.
- ملحوظة (نصوم الصوم الكبير لأخر يوم وتأتي الكنيسة لتذكرنا بالدرس الأول في ليلة أبوغلمسيس ونقرأ "من له اذنين للسمع فليسمع" تكرر علينا مرات عديدة وتقال بلحن خاص)، مثلما تعلم الام أبنها وتلقي عليه الأحرف وتذكره من البداية وتكرر له ليحفظ. ما أروع الكنيسة التي نقول عليها أنها بيتي وأمي وهي مُعلمة.

ثالثاً: صوم الرسل:

- صوم الرسل نسميه صوم الخدمة **هدفه إصلاح العضو الثالث وتجديده وصيانته هو الفم** أي الكلام"فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ" (مز ١٩: ٤)، فماذا يقول فمك، فهناك من يقع في خطية نقل الأخبار والنميمة وتشويه السمعة، ونحن الآن في زمن الميديا والشات وتضييع الوقت، الفم ماذا يقول؟ من فم الكاهن تطلب الشريعة، شريعة ربنا، فالصوم مخصص لذلك في كل قداس نتعهد امام الله ونقول: "بموتك يارب نبشر وبقيامتك المقدسة، تكون الكرازة هي عملك ليست بالفم فقط بل بكيانك الروحي، فهناك آباء عندما يفتقدون يقضي نصف ساعة في أي كلام وأي حكايات، وذلك بدلاً من أن يقود هذا المكان يدع أحد من أطراف المكان يقودها، ولكي يرضي ضميره

يقف ويقول أبانا الذي ويذهب، ليس هذا ما ندعوه بالافتقاد، الافتقاد الروحي داخل البيت فأنت الأب وأنت الكبير، من يعلمنا ويرشدنا ويكون كلامه مناسب لنا جميعاً، عملك الفم كيف يتكلم؟، هل تهتم بعظاتك؟ هل تشبع بعظاتك من تعلمهم، هل الاجتماعات التي تقوم بها سواء شباب، سيدات، خدام هل أنت مشبع لاحتياجات الناس فيها؟ (في أحد المرات في اجتماع لشباب مشاكس قليلاً وبعيد عن الكنيسة وكان يكلمهم الخادم عن الملائكة، كيف ذلك؟ فشاب من الشباب قام وغادر الاجتماع وعندما سأله أبونا لماذا غادرت؟ ما كان من الشاب إلا وقال ل: هم يتحدثون عن الملائكة ولا دخل لي بهم)، هل ما تقدمه سهل للناس وهم في حاجة له، فيما مضى كنا نتعلم أن معجزة صيد السمك الكثير لا تستطيع أن تقولها في المجتمعات الصحراوية لأنهم لا يصطادون ولن يستوعبوا معنى الصيد، أقولها مرة لكن لا أكررها، ولكن إذا ذهبت إلى قرية وأروي لهم مَثل الزارع فهم يستطيعون أن يفهموه تماماً وهكذا، الصوم الثالث هو صوم للفم وإصلاح الكلمة "أَنَّكَ بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ" (مت١٢: ٣٧)، وهدف منه الكرازة وتقديم اسم المسيح.

رابعاً: صوم العذراء:

- **هدفه قلب الإنسان** من أفضل التداريب في صوم العذراء هو دراسة سفر نشيد الأناشيد، والقلب هنا يعتمد أساساً على التسبيح، فهو يسبح الله مع كل نبضه، الهدف منه أن يكون قلبك مسبحاً مثل أمنا العذراء ونتحدث عن فضائل أمنا العذراء، لكن أجمل مافيها تسبيحتها، أجمل مافيها هدوءها الداخلي، أجمل مافيها نقائها الداخلي، والتالي بعد ما رأيت أُذني وعيني وفمي أنتقل إلى قلبي حتى يصير مخدعاً لله ومسبحاً لله على الدوام، وبهذه الصورة، صورة القلب المُسبح في حياة التسليم أو حياة الرضا، فأكثر صفه نلمحها في السيدة العذراء أنها إنسانة راضية، إياك أن تكون متذمر، نقاد لا يروق لك شيء، الكاهن يعلم شعبه كيف يكون قلبه صحيحاً، في كل مرة نصلي نقول "قلباً نقياً اخلق فيَّ يالله وروحاً مستقيماً جدده في احشائي"، القلب ماهي حالته؟ فالعين والأُذن والفم أراهم بوضوح، ولكن القلب لا أراه فالله وحده من يراه، فكيف يكون قلبك؟ فلن ينصلح قلبك إلا إذا أصلحت هؤلاء الثلاثة، إذا أصلحتهم سيكون من السهل إصلاح القلب، قلبك نقياً، مُسبحا ويصير قلبك راضياً وتشعر بنعمة الله في حياتك الموجودة على الدوام.

هذه هي فلسفة أصوامنا الأربعة في حياة الكنيسة، إنها ليست أصوام كطقس، واجبة علينا ويجب صومها، فكل هذه الأصوام جميلة، لكن هناك فلسفة في خطة الإنسان، فمثلاً إذا كنا طول فترة صوم الميلاد نركز على الأُذن، وتساعد أولادك في الاعتراف وكيف يقتنوا فضيلة الطاعة وفي الصوم الكبير يقتني فضيلة الرحمة و الصوم الرسل يقتني فضيلة الكرازة والحديث باسم الله وفي صوم العذراء يقتني فضيلة التسبيح وحياة الرضا، هذا الخط يربط بين أصوامنا الأربعة، يجعل لها معنى عند كل واحد منا، تصور كل سنة أصلح كل عضو وأعمل له صيانة كل سنة حتى تكتمل حياة الإنسان فيستحق الملكوت، وهذه هي الصورة الجميلة لفلسفة أصوامنا.

ولإلهنا الْمَجْد الدائم مِنْ الْآنَ وإلَىّ الْأَبَد أمِين